Majallah Al-Qism Al-Arabi
University of the Punjab,
Lahore - Pakistan.
No.29, Issue: 2022

مجلة القسم العربي
جامعة بنجاب، لاهور– باكستان.
العدد التاسع والعشرون، 2022م.

فن الرواية في الأدب العربي الحديث

رابعة عمر حيات
باحثة الدكتوراه، قسم اللغة العربية، جامعة بنجاب، لاهور، باكستان.
د. أبوالوفا محمود
الأستاذ، قسم اللغة العربية، جامعة بنجاب، لاهور، باكستان.

Abstract

The emergence and the development of fiction especially novel in modern Arabic literature can hardly be seen in isolation from the elements of renaissance in the Arab world: establishment of the printing press, journalism and the educational delegations to the colonial capitals like Paris, London…etc., pioneered in the time of Muhammad Ali Basha. These elements enhanced the process of literary revival and cultural assimilation. This process involved a creative fusion of two separate forces. One is the rediscovery of the treasures of the Arabic literary heritage and the emergence therefore of a “Neoclassical” movement. The other is the translation of works of European literary works especially novels into Arabic, their adaptation and imitation and eventual appearance of an indigenous modern Arabic novel.

Keywords: Fiction, Renaissance, Printing Press, Novel, Neo Classical Movement, Arabic Modern Literature.

الملخص

ظهور وارتقاء الرواية في الأدب العربي الحديث متصل بظهور عوامل النهضة في العالم العربي وقيام الصحافة والمطابع وبعث البعثات الدراسية إلى

عواصم الدول المستعمرة مثل باريس ولندن وغيرهما، والتي بدأت في عهد مُحَمَّد علي باشا. هذه العوامل ساعدت على عملية الإنبعاث الأدبي والتبني الثقافي. وهذه العملية بدورها جمعت بشكل جميل بين تيارين مخالفين هما: الأول: إعادة اكتشاف كنوز تراث الأدب العربي وظهور حركة "الكلاسيكية الجديدة". الثاني: ترجمة الأعمال الأدبية الأوروبية خاصة الرواية إلى العربية، وتقليدها وتبنيها حتى انتهى المطاف بظهور الرواية العربية الأصلية.

مصطلح الرواية:

دراسة الرواية العربية شأنها شأن أي ظاهرة أدبيه إنسانيه، عمرها عمر الإنسان نفسه مرتبطة بتطوره الذهني والفكري ومتأثرة بتاريخه الحافل بالتجربه والشعور، ويكون تكرار تلك التجربة في عصور مختلفة وفي أماكن وبلدان مختلفة وأناس مختلفة وبين أناس مختلفة. والمقصود أنه كان من حق الرواية العربية أن يدرسها الدارسون بعد ربطها بعمر الإنسان العربي وتطوره وتأثره بتاريخه الحافل بالتجربة والشعور. لكن العجب كل العجب أن الرواية العربية لم تحظَ بالاهتمام كما حظي به الشعر العربي. فالشعر العربي حظي باهتمام كبير وعنايه فائقه من قبل الدارسين والباحثين. والدراسة الأدبية بدأت عند المسلمين على أساس محاولة تفسير إعجاز القرآن البلاغي.[1] تعلَّق بأذهان الدارسين أن العرب في الجاهلية كانوا مشغوفين بالبيان والبلاغة، ودليلهم على ذلك أن القرآن الكريم لابد أن يخاطب أناساً صناعتهم وهوايتهم البيان والبلاغة.[2]

وكان من نتائج هذا التعلق أن الدارسين لم يقبلوا من صور الأدب الجاهلي إلا ما كان حافلاً بالصنعة البلاغية وما كان شاهداً على براعة العرب الجاهليين البيانية. لكن الواقع هو أنه من الصعب الاستسلام بأن شعباً بكامله كانت حياته موقوفة على اللهو بالألفاظ والتجويد في صور صياغتها. والأكثر إقناعاً هو أن هذا كان عمل طبقة معينة من الناس كانوا هم المتصدرين للحياة الفكرية والقولية عند العرب. والقرآن الكريم جاء ببلاغته يقصد افحام هؤلاء

والزامهم الحجة، لتكون المقارعة بنفس السلاح ويكون الانتصار بما لا يدع مجالاً للشك. ودراسة تاريخ النثر العربي وخاصة الأدب القصصي الذي تنبع منه الرواية أمر يتطلب الكثير من الجهد والوقت وهو ليس موضوع هذه الدراسة أصلاً ولكن عُرضت هذه الخلفية لأمر آخر وهو غلبة الغالب الديني على الدراسات الأدبية واللغوية العربية؛ ولشدة غلبتها كان التتبع والتقليد كثيراً.

اللغة العربية لا تحتوي على كلمة عامة تقابل بالضبط تعبير (Fiction) باللغة الإنجليزية وهي كلمة تعبر عن وسيلة مختلفة في النظر إلى العالم ومظاهره ولخلق عوالم جديدة مستقلة بذاتها في الواقع، عن طريق التلاعب بالكلمات وعن طريق التهكم والسخرية. غير أنه أمكن للغة العربية أن تبتدع تعابير فنية للتمييز بكل من الأنواع القصصية المختلفة حيث انتهجت التعابير المستخدمة في اللغة الإنجليزية حيث اختارت تعبير قصة قصيرة مقابل Short Story ورواية مقابل Novel في أغلب الأحيان لأن عدداً قليلاً من الكتاب في العالم العربي يستعملون تعبير "قصة" كتسمية للرواية مع أن كلمة "قصة" تعبير أساسي عن مجمل الأدب القصصي السردي ككل وهو ما يطلق عليه باللغة الإنجليزية تعبير Story أو Narrative. ومن المصادر التي اختارت مصطلح "قصة" الطبعة الثانية من الموسوعة الإسلامية عام 1954م وما بعدها.[3]

والتعرض لهذا الأمر ليس المقصود منه الدعوة لهذا التعبير أو استخدام ذاك المصطلح بالضبط فالمجتمع الإنساني يتوصل في نهاية المطاف إلى حسن اتفاق على أي ظاهرة وإنما المسألة مسألة وقت.

خلفية تاريخية

هذه مسألة، والمسألة الثانية التي تواجهها الفنون الأدبية هي تحديد تاريخها وأعمارها، ومن سوء الحظ هذا ما لم تلقَ الرواية العربية فيه حظاً فقد ذهب الكثيرون من دارسي الأدب العربي إلى استنتاج أن تاريخ الرواية العربي ليس بالطويل ولا بالأصيل؛ أي أن ليس للرواية العربية جذور أصيلة في الأدب العربي.

يقول عبد الرحمن منيف، وهو روائي عربي من العصر الحديث: "إن الرواية العربية بلا تراث، وبالتالي فإن أي روائي عربي معاصر لا بد أن يبحث عن طريقة في التعبير دون دليل، أو بأقل ما يمكن من الأدلة، ولذلك فإنه إلا أن يقع في بعض الأخطاء وأن تكون لديه بعض النواقص".[4]

هذا الرأي إنما هو إعلان بالاعتراف بتتبع الغرب فيما يتعلق بالرواية والمحاولة الجاهدة لرفع الرواية العربية لتوازي مستوى، أو على الأقل لتحتوي على ما اتفق عليه الغرب من عناصر أساسية لتكوين هذا الفن. وقد اعترف روائيان بارزان بهذا الأمر وهما نجيب محفوظ الفائز بجائزة نوبيل للآداب عام 1988م في "المرايا" وجبرا إبراهيم وجبرا في "الأدب العربي الحديث والغرب".

يتحدث دارسو الأدب العربي عن تطور الرواية العربية بأنه كان عملاً تسارعت خطاه ويرجعون جذوره إلى عصر النهضة وهو الإسلام الذي يطلق على حقبة التحرك نحو الانبعاث الثقافي الذي بدأ جدياً في القرن التاسع عشر. وقد اختلفت ظواهر هذا الانبعاث ومساره وتأثيره في مختلف الأقطار العربية، غير أن التطور في هذا الاتجاه كان في تلك الأقطار نتيجة لبروز وتفاعل عاملين أساسيين أطلق عليهما أسماء مختلفة: القديم والحديث، التقليدي والمعاصر، الكلاسيكيون والمحدثون.[5] ويمكن القول باختصار أنه كانت مواجهة والتقاء بين علوم الغرب وثقافته من جهة، وبين التراث العظيم للثقافة الإسلامية من جهة أخرى. أما الناحية الأدبية، أي التقاء العرب بالغرب من الناحية الأدبية فقد لعبت حركة التواصل مع الغرب وآدابه دوراً مهماً في ترجمة العديد من الكتابات القصصية الأوروبية إلى اللغة العربية؛ ومن ثم الاقتباس منها وبعد ذلك تقليدها، واستمر هذا التقليد حتى أن ظهرت تقاليد عربية حديثة.

وفي مرحلة الالتقاء بين القديم والحديث ضجت الأصوات وعلت أحياناً كثيرة بأن الرواية العربية شيء مستحدث لا تاريخ له، بل أن الأدب القصصي مجملا لم ينمُ ولم يتطور منذ أوائل عهود الأدب العربي أي عهد الجاهلية وأوائل

العهد الإسلامي. مع أن هذا الصوت كان مسموعاً كثيراً لكنه كان يفقد المنطق فكيف لأمة حافلة بالحياة قبل الإسلام وبعد مجيئه أن تكون خاملة إلى هذه الدرجة بأنها لم تنتج أي أدب قصصي. هذا الأمر إن كان واقعاً لا يخرج عن تفسيرين:

الأول: أن يكون العرب لم ينتجوا هذا الفن في الواقع لأي سبب من الأسباب، وهذا شيء مستحيل على العقل والمنطق قبوله.

الثاني: أن يكون العرب قد أنتجوا من الفن القصصي معبراً ومترجماً عن حياتهم وتجاربهم ولكنه لم يصل إلى أجيالهم التابعة لأي سبب أو لآخر.

ويبدوا أن السبب الثاني قريب من المنطق ولا سيما أن طبيعة العرب معروفة بأنهم كانوا يعتمدون على المشافهة من غير تدوين وكتابة.

والحقيقة أن دارسي الأدب العربي لم يهتموا بأمر القصة والرواية كاهتمامهم بأمر الشعر. ويكفي من الرد على الذاهبين إلى أن فن الرواية أو الفن القصصي بالعموم مستحدث نقلته إلينا الترجمة والاتصال بالآداب الأخرى، وأن هذا الاتصال قام به العرب منذ مطلع تاريخهم وترجموا ما عثروا عليه عبر العصور المختلفة، فكيف كان أن لم يقلدوا من قبل وقلدوا في عصر النهضة فقط؟

ولقد وصل إلينا من التراث الفني الذي يمكن اطلاق القول عليه بالفن القصصي أو السرد القصصي شاملاً على أنواع مختلفة من النوادر والصور القلمية الموجزة، والحكايات ذات المغزى الأخلاقي، وقصص الهروب إلى غير ذلك. وقد جمعت هذه الأعمال تحت عناوين كثيرة التنوع بهدف توفير المتعة للفئات التي تستطيع القراءة (خاصة أصحاب السلطة).[6] لكن المستغرب أن أعظم مجموعة قصصية في العالم أي "حكايات ألف ليلة وليلة" قد أهملت وبقيت خارج الصورة وذلك خلال المراحل الأولى لتطور الرواية العربية على الأقل خلال المراحل الأولى لعصر النهضة.

والعقل الإنساني يفترض أنه لا بد من وجود حكايات وقصص شعبية أخرى لم تحظَ بالتدوين والاهتمام ويمكن ارجاع ذلك إلى ثلاثة أسباب:

الأول: اعتماد العرب في نقل القصص على السرد الشفهي في مجالس أهلم العلم والسادة وقلة اعتمادهم على الكتابة.

الثاني: لما بدأ عصر التدوين والكتابة، كان القصد مما كتب تذكير الرواة أنفسهم وحتى إن كانت كتبت للقراءة فكان من المفهوم أن من يجيد اللغة فهماً سيقرأها سواءً من أهل العلم والأدب أو القادة السادة. ولم تكتب هذه القصص في باديء الأمر ليقرأها عامة الناس.

الثالث: بدأ التدوين للحفاظ على الأدب والعلم الديني فحظيت اللغة العربية الفصحى بالاهتمام الأكبر والتي بدورها حملت النصوص الدينية والعلمية البحتة تاركة الأدب الشعبي القصص باللهجات العامية بدون اهتمام وعناية.

دُرست "ألف ليلة وليلة" لأول مرة بطريقة رئيسية من قبل طالبة دكتوراة تحت إشراف طه حسين عام 1966م.

أما النوع القصصي الذي لفت أنظار الدارسين والكتاب فهو أدب المقامة. وأول من كتب هذا النوع كما تحكي المصادر الأولى هو بديع الزمان الهمذاني وكان الشكل الأساسي للمقامة يتألف من حكاية سردية عن حياة المشردين والغرض منها التعليق حول الأمور الاجتماعية والتنوير الأخلاقي عن طريق معانٍ مضمورة معلومة. استخدم أيضاً الحوار المسجع في المقامات، وظل هذا النوع الذي يعتمد على المحسنات اللفظية سائداً لقرورن عديدة.

ويجب التنويه هنا بكتب الجاحظ خاصة كتاب "البخلاء" فهو كان أيضاً نوعاً من القصة أو السرد وإن غلب عليه ما غلب على المقامة من الصنعة الفنية.

تطور فن الرواية العربية

إن فن الرواية العربية في العصر الحديث هو الفن الذي استمد تعريفه من نوع هذا الفن في الغرب وهو بالآخر ما يقابل بالفرنسية Novella وبالإنجليزية

Novel وهي عبارة عن أحداث نثرية مخترعة ذات طول كبير وحبكة معينة تتعامل بشكل خيالي تارة وبشكل واقعي تارة أخرى مع التجربة الإنسانية. ضَمَن اطار الرواية الواسع مجموعة واسعة من الأنواع والأساليب. يرجع أصل فن الرواية العربية الحديث إلى عصر النهضة أو الانبعاث الثقافي وفيما يلي عرض سريع لما واجهته الأقطار العربية الرئيسية من اتجاهات ثقافية ساهمت في الإنتاج الأدبي، وكان فن الرواية من ضمن ذلك الإنتاج الأدبي.(7)

1- مصر: في حين أن التقاء العرب بالغرب كان تدريجياً في العديد من الأقطار العربية، إلا أنه كان سريعاً ومفاجئاً في مصر. عندما غزا نابليون مصر في عام 1798م وجد المصريون أنفسهم مباشرة وجهاً لوجه أمام التقدم الأوروبي، ليس في مجالات التكنولوجيا والعلوم العسكرية فحسب بل في مجالات الثقافة والمعرفة العلمية. وبعد انسحاب القوات الفرنسية من هناك استلم زمام الأمور مُحَمَّد علي باشا الذي كان أحد ضباط الدولة العثمانية، لكنه كان معجباً بالجيش الفرنسي وتقدمه وانتظامه. ولهذا بدأ في ارسال بعثات من الشباب المصريين إلى إيطاليا ثم فرنسا، وتم اختيار رفاعة الطهطاوي لكي يرافق إحدى هذه البعثات إلى باريس كقائد للبعثة، وبعد إقامة امتدت خمس سنوات ألَّف كتابه الشهير "تخليص الإبريز في تلخيص باريز" يصف فيه طبيعة الحياة والملابس والأطعمة والحكومة والقوانين الفرنسية إلى غير ذلك مما رآه وجرَّبه هناك. وكان هذا الكتاب نموذج من سلسلة الكتب السردية والقصصية التي سجل فيها زائروا أوروبا العرب انطباعاتهم حولها.(8)

كان لكتاب الطهطاوي أهمية كبيرة فهو أثار اهتمام القُرَّاء المصريين بالمجتمع الأوروبي كما أنه كان بداية لعصر زاهر بالترجمة والصحافة. فقد عُيِّن الطهطاوي نفسه مسؤولاً عن مدرسة جديدة هي مدرسة اللغات في القاهرة عام 1836م. وخلال العقود التالية دأب هو وتلامذته على ترجمة أعمال هامة من الأدب الأوروبي وخصوصاً الأدب الفرنسي، ومن الذين تُرجمت أعمالهم فولتير

Voltaire ومونتيسكيو Montesquieu وفنيلون Fenelon أضيف إليها ولكن بتتابع أعمال من ترجمة تلميذه مُحَمَّد عثمان جلال الذي ترجم أعمال موليير Moliere وأقاصيص لافونتان La Fontaine وبدأ مُحَمَّد عثمان جلال حركة تمثل خطوة هامة في تطوير التقاليد القصصية وذلك عن طريق تمصيره هذه الأعمال وشخصياتها مُمهِّداً الطريق للتقليد في البداية وتطوير النوع الروائي في النهاية.(9)

ساهم الطهطاوي مساهمة كبيرة في بروز الصحافة حيث عين محرراً لصحيفة "الوقائع المصرية" التي أنشأها مُحَمَّد علي عام 1823م، ومع أن هذه الصحيفة كانت الصحيفة الرسمية الناطقة بإسم الحكومة غير أنها كانت لها أثراً بالغاً في مستقبل الصحافة المصرية. ومن هنا يمكن الربط بين ما شهدته سوريا في الخمسينيات والستينيات من القرن التاسع عشر حيث وَجَد عدد كبير من المسيحيين السوريين الذين قدموا إلى مصر فرصة للتعبير ونشر ما جلبوه من تجاربهم في القصص والدراما في المجلات والدوريات المصرية.(10) وللصحافة دور هام في بعث الوعي الثقافي وبلغ دورها القمة حين بدأت المشاعر الوطنية والمعارضة للسيطرة الأجنبية تعبر عن نفسها، فتأسست صحف لم يكن بغيها مناقشة الآراء المتعلقة بالأمور القومية وأفكار الإصلاح الإسلامي فحسب بل أصبحت كذلك مجالاً لنشر الأعمال القصصية كان أولها ترجمات للأعمال الأوروبية، ثم شملت التجارب المبكرة المؤلفة باللغة العربية. ومن أهم هذه الصحف "جريدة الأهرام" التي كانت تنشر الروايات في شكل حلقات. وقائمة الأسماء طويلة جداً ممن نُشِرت أعمالهم على هذا المنوال، ومنهم فرانسيس مراش وسليم البستاني وسعيد البستاني إلى غيرهم من الأدباء السوريين. أما الكتاب المصريين أنفسهم فمنهم نجيب محفوظ وغيره من العمالقة مثل مصطفى لطفي المنفلوطي والقائمة طويلة من المؤلفين وما ألفوه لن يسعها المكان عدّاً وحصراً.(11)

ومن اللازم الإشارة هنا أن كتابات مصطفى لطفي المنفلوطي ظلت تتلقى شعبية لدى المراهقين، والسبب يمكن تلخيصه في أن كتاباته القصصية

الروائية كانت مزيجاً من الأفكار الإسلامية الحديثة والوعي بالتراث الأدبي الكلاسيكي ومن العواطف المعادية للغرب.[12]

2- سوريا ولبنان: منطقة جبل لبنان (سوريا حالياً) لم تكن واضحة المعالم جغرافياً ولكنها كانت تتبع إدارياً المنطقة التي تتخذ من دمشق مركزاً لها، تواجدت الجاليات المسيحية خاصة من الموارنة والأرثوذكس في هذه المنطقة وبين هذه الجاليات يمكن تتبع أول ملامح عصر النهضة في هذه المنطقة لأنها كانت على اتصال بالغرب وخصوصاً روما وفرنسا. وكان من آثار توثق العلاقات بالكنيسة الكاثوليكية في روما الفرص التعليمية التي توفرت في ذلك الوقت لأبناء تلك الجاليات المسيحية. ويَرِدُ في هذا المجال اسم المطران "جيرمانوس فرحات" باعتباره أول من حاول الاهتمام باللغة العربية حيث ألف أعمالاً متنوعة منها كتب في الشعر وفي قواعد اللغة العربية ثم تعزز هذا النشاط التبشيري والتعليمي في القرن التاسع عشر حين بدأ المبشرون البروتستانت بالوصول إلى سوريا خاصة من الولايات المتحدة الأمريكية.[13]

وفي عام 1866م أسست الكلية البروتستانتية السورية في بيروت التي سميت فيما بعد بالجامعة الأمريكية في بيروت والتي لعبت دوراً مرموقاً في رعاية التعليم والثقافة في المنطقة خاصة وفي العالم العربي عامة.

ساهمت حينذاك سلسلة كاملة من العائلات منها البستاني واليازجي والشدياق والنقاش وغيرها في حركة الانبعاث القومي وذلك عن طريق تنبيه العرب إلى الكنوز التي تتمتع بها لغتهم وأدبهم. وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى بطرس البستاني الذي تأثر بالمبشر الأمريكي كورنيليوس فان دايك Cornelious Van Dyke، وساعد في ترجمة الإنجيل إلى العربية كما كتب معجم "محيط المحيط" والجزء الأكبر من الموسوعة المعروفة باسم دائرة المعارف.[14]

أما ناصيف اليازجي فيعود إليه الفضل في أنه كان في طليعة من أعانوا وأعادوا دراسة الأعمال الأدبية العربية العظيمة المكتوبة في الماضي، كما قرأ

مقامات الحريري التي كتبت في القرن الحادي عشر الميلادي، وذلك في الترجمة الفرنسية التي قامت بها سيلفستر دوساكي Sylvester De Sacy وألهمته هذه القراءة كتابة مجموعة من مقامات مماثلة أطلق عليها اسم "مجمع البحرين". وأما أحمد فارس الشدياق فإنه تأثر إلى حد كبير بالتقاليد الكلاسيكية وبالاهتمام المتجدد بتاريخ اللغة العربية، حيث أقدم على تأليف كتابه "الساق على الساق فيما هو الفارياق" وكما شمل العنوان على الثورية اللفظية والكلام المقفى فقد شمل الكتاب على اللغة المعقدة نتيجة تأثر بنماذج النثر البلاغي المكتوب في الماضي وتقليده لها. والكتاب يبدو فيه عنصر السيرة الذاتية حيث أن كلمة فارياق مشتقة من المقطع الأول لاسمه فارس والمقطع الأخير من اسم العائلة شدياق، وبطل الكتاب الحارث بن حزام يقوم برحلة تعتبر صدىً واضحاً لتقاليد المقامة القديمة. وتظهر معرفة المؤلف بأقطار حوض البحر الأبيض المتوسط وشمالي أوروبا وخاصة إنجلترا.(15)

ومن بين هذه التجارب الأولى لا بد من ذكر أعمال فرنسيس مراش وسليم البستاني. أما فرنسيس مراش نشر في حلب عام 1865م كتاباً بعنوان "غابة الحق" وهي حكاية رمزية عن الحرية مليئة بأفكار المثالية والفلسفة. ويحمل أحد كتبه الأخرى عنوان "دار الصدف في غرائب الصدف" والعنوان بذاته موضح أن الكاتب استخدم أنواع السرد القديمة أيضاً.(16)

أما سليم البستاني وهو الإبن الأكبر لبطرس البستاني،(17) كتب سلسلة من القصص التاريخية التي نشرت في دورية "الجنان" وكانت تلك القصص تشمل على حوادث من التاريخ الإسلامي إلى جانب من الأسفار وقصص الحب والمغامرات فجمعت بين المرح والتعليم واستطاعت أن تجذب جمهوراً جماً لها.(18)

نشبت حرب أهلية وكانت بدايتها في الخمسينات من القرن التاسع عشر الميلادي، وبلغت ذروتها في عام 1860م. وبعدها تغيرت أحوال المنطقة وتسببت في ذهاب كثير من العائلات من البلاد فمنهم من ذهب إلى مصر ومنهم من

ذهب إلى أوروبا والأمريكتين. وبذلك طُبعت بعض كتبهم خارج البلاد وبعد استقرارهم هناك امتدوا كجذور لأهم المدارس الأدبية العربية الحديثة وهي "أدب المهجر".

حركة النهضة والانبعاث الثقافي في سوريا ولبنان كان لها دورها في تمهيد الطريق لبعث الحياة في الأدب العربي الحديث ولا سيما الأدب القصصي وبالتالي وضعت تمهيداً لفن الرواية العربية الحديثة. غير أن هذا الدور استبطأ لسببين: أولهما الحرب الأهلية ومغادرة الأدباء البلاد بعد عام 1860م، وثانيهما الرقابة التي فرضت من قبل الحكومة العثمانية والتي كانت تجعل فرص النشر للأعمال الأدبية بعيدة المنال لاتباعها القيم الإسلامية.

3- العراق والخليج: كان العراق على تواصل مع إيران والخليج العربي والهند أكثر من تواصله مع دول حوض البحر الأبيض المتوسط وسادت بدوره الأنواع الأدبية التقليدية أي أنها تلك الأنواع كانت تتبع المعايير النقدية الأدبية القديمة.[19]

والمنطقة بأكملها أي العراق والخليج كانت مقسمة إلى ثلاث مقاطعات عثمانية تحت رقابة شديدة تطبق بحزم. وأسفار الشاعرين العراقيين الرصافي والزهاوي بحثاً عن عمل أو إمكانية للنشر دليل على ذلك الجو السائد بسبب الرقابة، ولهذا غلب الطابع التقليدي.[20] ولهذا الأمر تطور فن القصة ومن ثم فن الرواية الحديثة متأخراً والغالب أنه تطور في القرن العشرين.[21]

أما أقطار الجزيرة العربية المختلفة أو ما يسمى بالخليج حالياً، فكانت تعيش في أجواء قبلية تقليدية حتى تم اكتشاف النفط في العقد الأول من القرن العشرين في إيران ومن ثم على أكبر مخزون للنفط في العالم على الطرف الجنوي للخليج العربي في الثلاثينيات من هذا القرن فكان ذلك من دواعي جعلها قبلة أنظار العالم وأثر ذلك على الثقافة المحلية بشكل عام وعلى السكان الذين يعيشون حياة البداوة بشكل خاص وهو الموضوع الذي عالجه إحدى أكبر مشاريع الرواية التي صدرت بالعربية ارتباطاً مع الوقت الحاضر وهي خماسية عبد

الرحمن منيف التي تعتبر من الأعمال الروائية العظيمة الشأن. تتألف هذه الرواية من خمسة أقسام تصور الحياة مع بداية النفط والتحولات المتسارعة التي حلت بمدن وقرى الجزيرة العربية بسبب اكتشاف النفط.(22)

ومع التحولات السياسية والاجتماعية شهدت المنطقة حركة تعليمية أيضاً، فبدأت الصحف والمجلات ومحطات التلفزيون. وساهم ذلك كله في تطور أنواع الأدب وخاصة الأدب القصصي ومنه الروائي.

4- المغرب العربي: تضم هذه المنطقة المغرب والجزائر وتونس. سادتها بدورها الأنواع الثقافية التقليدية حتى بدأت تتأثر بحركات النهضة أو الانبعاث الثقافي التي سادت في الجزء الشرقي من العالم العربي في القرن العشرين. ففي عام 1830م بدأت فرنسا باستعمار الجزائر والتي قامت علي إثرها حرب الثورة الدموية التي حدثت في الجزائر بين عام 1954م- 1962م (التي سميت بحرب المليون شهيد). عكست تلك الحرب المدى الذي نجح فيه الفرنسيون في التغلغل في أعماق التركيبة الثقافية والاجتماعية للجزائر.(23) وفي عام 1881م أي بعام واحد قبل الاحتلال البريطاني لمصر، احتلت فرنسا تونس، وكانت حركة الانبعاث بدأت هناك في مرحلة أبكر بسبب أفكار وأعمال خير الدين باشا وتأثير المصلح الكبير في مصر. فاستطاع التعليم الإسلامي أن يتعايش ويحارب الغزو الثقافي الفرنسي. يجدر بالذكر هنا أبو القاسم الشابي، مع أنه لا يعد من مؤلفي الرواية لكنه مثال للثقافة المأخوذة من الغرب والتيارات الأدبية التي لقيت تقليداً، ألا وهي الرومانتكية ومع ذلك فإن الشخصيات مثل أبي القاسم الشابي كانت نادرة في رحلة تطور الأدب العربي الحديث في المغرب العربي. أما الانفصال الجغرافي لبلاد المغرب العربي واتباع هذه البلدان نظام التعليم الفرنسي جعل نتاجها الأدبي مُهملاً من قبل الباحثين والناقدين في الأدب العربي من الجزء الشرقي من العالم العربي وكذلك من قبل الباحثين والدارسين من البلدان الناطقة باللغة الإنجليزية.(24)

وفي الختام فإن العالم كان وما زال في حالة تغير وتطور، وهذا ينطبق على الادراك الحسِّيّ والمعرفة التي تحاول مواكبة مهَمَّة العيش والبقاء على قيد الحياة في هذا العالم. والرواية قد أثبتت أنها الفن الأدبي الذي يعكس تجربة الحياة وفلسفتها على أفضل وجه. وبما أن مواضيع الرواية في تغير وتطور دائم، فإن الرواية بذاتها تستمر في التطور والارتقاء. وأهم ما يزيد من شأنها بأنها أصبحت الوسيلة التي تعبر عن أحاسيس ومشاعر الإنسان الحقيقي في مجتمع العصر الحديث بمخاوفه وتساؤلاته وأحلامه وآماله. لأن قيمة الأدب الحقيقية مرتبطة بمستوى الوعي الذي يطرحه في مجتمعه، فلا فائدة مرجوة من كتابة أدب بالغ الروعة والجمال لا يستطيع المجتمع أن يفهمه ويفهم الفكرة منه مهما كانت تلك الفكرة. وهذا الذي توصّل إليه الروائيون المصريون قبل غيرهم من العرب، فتجاربهم الروائية التي بدأت بالترجمة ثم التقليد ثم التبني، أوصلتهم إلى الواقعية الجِديَّة وهي أهم مميزات الأدب الحديث المعاصر.

الحواشي والهوامش

1 فاروق خورشيد، الرواية العربية – عصر التجميع، دار الشروق، الطبعة الثانية، بيروت، ص33

2 المصدر السابق، ص32–33

3 روجر آلن، الرواية العربية – مقدمة تاريخية ونقدية، ترجمة: حصة إبراهيم المنيف، المجلس الأعلى للثقافة، 1997م، ص23

4 مقابلة مع عبد الرحمن منيف في مجلة المعرفة، عدد شباط/فبراير 1976م، ص 193

5 روجر آلن، الرواية العربية – مقدمة تاريخية ونقدية، ترجمة: حصة إبراهيم المنيف، المجلس الأعلى للثقافة، 1997م، ص31

6 د. ركان الصفدي، الفن القصصي في النثر العربي حتى مطلع القرن الخامس الهجري، الهيئة العامة السورية للكتاب، ص61–65

7 سعد يقطين، قضايا الرواية العربية الجديدة – الوجود والحدود، دار الأمان، الرباط 2012م، ص21–44

8 عبد المحسن طه بدر، تطور الرواية العربية الحديثة في مصر، دار المعارف، القاهرة 1963. ص51–61

9 روجر آلن، الرواية العربية – مقدمة تاريخية ونقدية، ترجمة: حصة إبراهيم المنيف، المجلس الأعلى للثقافة 1997م، ص44

10 إلياس خوري، تجربة البحث عن أفق، مركز بحوث منظمة التحرير الفلسطينية 1974، ص10-14

11 روجر آلن، الرواية العربية – مقدمة تاريخية ونقدية، ترجمة: حصة إبراهيم المنيف، المجلس الأعلى للثقافة 1997م، ص45-46

12 المصدر السابق، ص47

13 علي صالح وآخرون، الأدب العربي في آثار الدارسين، دار العلم للملايين، بيروت 1971م، ص291-311

14 روجر آلن، الرواية العربية – مقدمة تاريخية ونقدية، ترجمة: حصة إبراهيم المنيف، المجلس الأعلى للثقافة 1997م، ص35-36

15 أحمد يوسف نجم، القصة في الأدب العربي في لبنان، دار الثقافة، بيروت 1966م، ص345-349

16 سيد حامد النساج، بانوراما الرواية العربية، المركز العربي للثقافة والعلم، بيروت 1983م، ص112

17 كان من أعظم أركان النهضة العربية، ألف أول موسوعة بالعربية سماها دائرة معارف البستاني كما ألف أول قاموس عصري في اللغة العربية وسماه معجم محيط المحيط.

18 روجر آلن، الرواية العربية – مقدمة تاريخية ونقدية، ترجمة: حصة إبراهيم المنيف، المجلس الأعلى للثقافة 1997م، ص37

19 يوسف عز الدين، الرواية في العراق، جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات العربية، ص13

20 سلمى الخضراء الجيوسي، اتجاهات وحركات الشعر العربي الحديث، دار بريل للنشر، ليدن، هولندا 1977م، ص1-26

21 يوسف عز الدين، الرواية في العراق، جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات العربية، ص41

22 المصدر السابق، ص43

23 روجر آلن، الرواية العربية – مقدمة تاريخية ونقدية، ترجمة: حصة إبراهيم المنيف، المجلس الأعلى للثقافة 1997م، ص41

24 ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة، ترجمة: كريم عزقول، دار النهار، بيروت 1963م، ص84-94